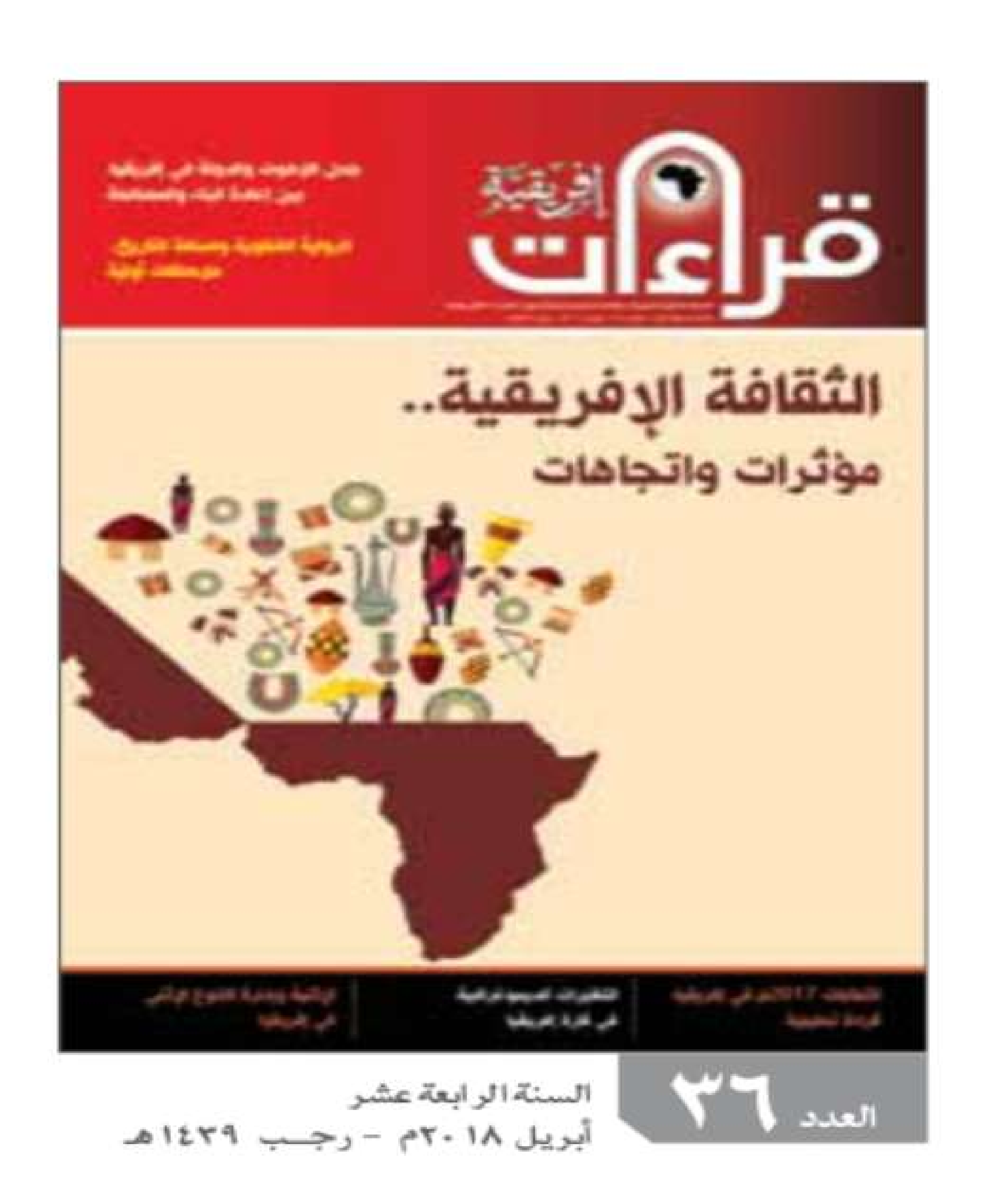

قراءات إفريقية
الثقافة الإفريقية..
مؤثرات واتجاهات
العدد ٣٦
السنة الرابعة عشر
أبريل ٢٠١٨م - رجب ١٤٣٩هـ

قراءات إفريقية
الثقافة الإفريقية.. مؤثرات واتجاهات

العدد ٣٦
السنة الرابعة عشر
أبريل ٢٠١٨م – رجب ١٤٣٩هـ



التغيّرات الديموغرافية في قارة إفريقيا



د. محمد فرج عبدالعليم علام
مدرس الجغرافيا البشرية - كلية الآداب - جامعة المنوفية - مصر

إنّ فَهم أنماط الانتقال الديموغرافي والوبائي لأي مجتمع يرتبط ارتباطا وثيقا بأطر التغيرات الديموغرافية التي مرّ بها، ولقد حظيت نظرية التحول الديموغرافي Demographic Transition باهتمام كبير، يماثل الاهتمام الذي قوبلت به نظرية «مالثوس» من قبل، وهي باختصار تمثل «العلاقة بين معدل المواليد ومعدل الوفيات، وما تنتجه من مؤشرات ديموغرافية؛ تنعكس على معدل النمو السكاني في المجتمع»(١).

فتاريخيّاً؛ يميل السكان إلى التحول من الخصوبة والوفيات المرتفعة إلى الخصوبة والوفيات المنخفضة(٢)، إذ يتركز انخفاض الوفيات عادةً بين الرضع وصغار السّن، ويظهر التحول الديموغرافي في البداية بين الشباب، وفي المراحل المتأخرة بين قوة العمل، وأخيراً بين كبار السّن(٣)، إذ تزيد متوسطات أمد الحياة وتتأخر الوفيات حتى أعمار كبار السّن.

ويشير التاريخ السكاني لقارة إفريقيا إلى أنّ القارة قد طرأ عليها تغيّرات في بنيتها الديموغرافية، وذلك استجابةً للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي مرّت وتمرّ بها، فلقد شهدت القارة نمواً سكانيّاً بصورة مطردة

(١) فتحي محمد أبو عيانة، جغرافية السكان: أسس وتطبيقات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٥م، ص١٢٨.

(٢) United Nations, Changing Levels and Trends in Mortality: The Role of Patterns of Death by Cause, Department of Economic and Social Affairs, Population Division, New York, 2012, P.2.

(٣) محمد عبد الرحمن، بطالة الشباب وفرص العمل المستحدثة في الوطن العربي: دراسة مقارنة، المجلة المصرية للتنمية والتخطيط، المجلد التاسع عشر، العدد الثاني، ديسمبر ٢٠١١م، ص١٦٣.

على مدار تاريخهـــا؛ فيما عدا الفترة من (١٧٥٠-١٨٥٠م)، أي خلال قرن، إذ نجد أنّ الحجم الســـكاني تناقص من (٩٥ مليون) عـــام ١٧٥٠م إلى (٩٠ مليون) عام ١٨٥٠م؛ بنســـبة انخفاض بلغت (٥,٣٪)، ويمكن إرجاع ذلك إلى عدة أسباب:

أ- تجارة الرقيق: حيث يُقـــدّر أنّ عدد الأفارقة الذين غادروا إفريقيا إلى أمريكا حوالي ٢٠ مليوناً.

ب- الأمراض الغربية: التي جلبها الاســـتعمار الجديد الأوروبي معه إلـــى القارة، ولم يكن لديهـــم مناعة ضدها، فأودت بحياة أعداد غير قليلة من سكان القارة.

ج- الحروب القبليـــة: وذلك أنّ القبائـــل والجماعات الإفريقية كانت في تلك الفترة في صراع مستمر على الحكم والســـلطة، فقامت بينهـــا حروبٌ قبليةٌ نجم عنها خســـائر بشرية[1].

ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر (١٨٥٠م)؛ ارتفع حجم السكان بالقارة ليبلغ (١٢٠ مليوناً) عام ١٩٠٠م، ثم إلـــى (٢٢١ مليوناً) منتصف القرن العشـــرين (١٩٥٠م)، بنســـبة نمو بلغت (٨٤٪)، وخـــلال النصف الثاني من القرن العشـــرين واصل النمو السكاني بالقارة ارتفاعه ليبلغ (٧٩٤ مليوناً) عام ٢٠٠٠م[2]، وتشـــير التوقعـــات إلى بلوغ الحجم الســـكاني في منتصف القرن (٢١) ليقـــارب ١٩٩٦ مليون نســـمة عام ٢٠٥٠م، بنســـبة زيادة بلغت (١٥١٪) بين عامي (٢٠٠٠-٢٠٥٠م)؛ أي أنّ القارة سيتضاعف عدد سكانها مرةً ونصف المرة خلال الـ٥٠ ســـنة القادمة، بنسبة نمو سنوي تبلغ (٣,٠٪)؛ وبرغم تلك الزيادة فإنّ معدلات النمو السكاني بالقارة تتجه نحو الهبوط، كما بشـــكل (١)، حيث انخفضت نســـبة الزيادة السكانية من (١٢,٣٪) خلال الفترة (١٩٨٥-١٩٩٠م)؛ لتبلـــغ (٨,٠٪) خـــلال الفتـــرة (٢٠١٥-٢٠٢٠م)، ويتوقع أن تصل إلى (٢,٥٪) خلال الفترة (٢٠٤٥-٢٠٥٠م).



ولا تزال قارة إفريقيا تتصدر قارات العالم وفقاً لحجم الكتلة البشرية المضافة، بنسبة زيادة بلغت (١٢٥-٦٣٪) لكلٍّ من إفريقيا جنوب الصحراء وشـــمالها بالترتيب، تلاها أوقيانوسيا (٤٤٪)، ثم أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي بنسبة تغيّر بلغت (٣٩٪)، وأخيراً قارة آســـيا وشمال أمريكا بنســـب زيادة بلغت (٣٤-٣٢٪) بالترتيب؛ بين عامي (١٩٦٠-٢٠٥٠م)، كما بشكل (١).

جدول (١) النمو السكاني بالأقاليم الجغرافية الرئيسة في العالم خلال الفترة (١٩٦٠-٢٠٥٠م)

الأقاليم	الحجم السكاني بالمليون			حجم ونسبة التغير (٢٠٠٥-٢٠٥٠م)	
	١٩٦٠	٢٠٠٥	٢٠٥٠	الحجم (بالمليون)	نسبة التغير (٪)
آسيا	١٦٩٩	٣٩٠٥	٥٢١٧	١٣١٢	٣٤
أوروبا	٦٠٤	٧٢٨	٦٥٣	٧٥-	١٠ -
أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي	٢١٩	٥٦١	٧٨٣	٢٢٢	٣٩
شمال إفريقيا	٦٧	١٩١	٣١٢	١٢١	٦٣
شمال أمريكا	٢٠٤	٣٣١	٤٣٨	١٠٧	٣٢
أوقيانوسيا	١٦	٣٣	-	١٥	٤٤
إفريقيا جنوب الصحراء	٢٢٦	٧٥١	١٦٩٢	٩٤١	١٢٥
العالم	٣٠٢٤	٦٤٦٥	٩٠٧٦	٢٦١١	٤٠

Source: W.H.O.. Family Planning: The unfinished Agenda. Journal paper. The Lancet Sexual and .Reproductive Health Series. October 2006. P.2

(١) محمود محمد عبد اللطيف عصفور، سمير الدسوقي عبد العزيز وأحمد محمد عبد الله حميد، جغرافية إقليمية (إفريقية)، مطابع مجموعة شركات الهلال، القاهرة، ١٩٨٦/١٩٨٧م، ص٧٩.

(٢) Economic Commission for Africa, The State of Transition in Africa Demographic, December .2001, P.13

ولقد شـهدت القارة تبايناً جغرافيّاً وفقاً لنسب الكتلة البشرية بها، حيث جاء غرب القارة وشرقها بأكبر حجم سكانيّ جاوز ربع جملة السكان (٢٨-٢٧٪) بالترتيب، ثم الشمال (٢١٪)، تلاه جنوب القارة ووسطها (١٤-١١٪) بالترتيب من جملة سكان القارة عام ٢٠١٥م، ووفقاً لمعدلات النمو السـكاني السـنوي تصدّر وسط القارة وشـرقها بمعدل (٥,٢-٥,٠٪) بالترتيب، ثم غرب القارة (٤,٤٪)، وأخيراً جنوب القارة وشمالها (٣,٦-٣,٣٪) بالترتيب خلال الفترة (١٩٨٠-٢٠١٥م).

جدول (٢)

التباينات الجغرافية لمعدل النمو السكاني السنوي بقارة إفريقيا خلال الفترة (١٩٨٠-٢٠١٥م)

النطاق الجغرافي	البلدان	السكان في منتصف العام (الآلاف)		٪ الزيادة السكانية (×)	
		١٩٨٠م	٢٠١٥م	الكلية	السنوية
شرق إفريقيا	بوروندي	٤١٢٧	١١١٧٩	١٧٠,٩	٤,٩
	جزر القمر	٣٠٩	٧٨٨	١٥٥,٠	٤,٤
	جيبوتي	٣٥٩	٨٨٨	١٤٧,٤	٤,٢
	إريتريا	٢٣٨٤	٥٢٢٨	١١٩,٣	٣,٤
	إثيوبيا	٣٥٢٤٠	٩٩٣٩١	١٨٢,٠	٥,٢
	كينيا	١٦٢٦٨	٤٦٠٥٠	١٨٣,١	٥,٢
	مدغشقر	٨٧٤٧	٢٤٢٣٥	١٧٧,١	٥,١
	موريشيوس	٩٦٦	١٢٧٣	٣١,٨	٠,٩
	رواندا	٥١٤١	١١٦١٠	١٢٥,٨	٣,٦
	سيشل	٦٦	٩٦	٤٥,٥	١,٣
	الصومال	٦٠٩٠	١٠٧٨٧	٧٧,١	٢,٢
	جنوب السودان	٤٧٠١	١٢٣٤٠	١٦٢,٥	٤,٦
	أوغندا	١٢٥٤٨	٣٩٠٣٢	٢١١,١	٦,٠
	جمهورية تنزانيا المتحدة	١٨٦٨٥	٥٣٤٧٠	١٨٦,٢	٥,٣
إفريقيا الوسطى	الكاميرون	٨٩٣٢	٢٣٣٤٤	١٦١,٤	٤,٦
	جمهورية إفريقيا الوسطي	٢٢٧٤	٤٩٠٠	١١٥,٥	٣,٣
	تشاد	٤٥١٣	١٤٠٣٧	٢١١,٠	٦,٠
	الكونغو	١٨٠٢	٤٦٢٠	١٥٦,٤	٤,٥
	الكونغو الديموقراطية	٢٦٣٥٧	٧٧٢٦٧	١٩٣,٢	٥,٥
	غينيا الاستوائية	٢٢١	٨٤٥	٢٨٢,٤	٨,١
	الجابون	٧٢٩	١٧٢٥	١٣٦,٦	٣,٩
	ساو تومي وبرينسيب	٩٥	١٩٠	١٠٠,٠	٢,٩
شمال إفريقيا	الجزائر	١٩٣٣٨	٣٩٦٦٧	١٠٥,١	٣,٠
	مصر	٤٣٣٧٠	٩١٥٠٨	١١١,٠	٣,٢
	ليبيا	٣١٩١	٦٢٧٨	٩٦,٧	٢,٨
	المغرب	٢٠٠٧٢	٣٤٣٧٨	٧١,٣	٢,٠
	النيجر	٥٩٦٣	١٩٨٩٩	٢٣٣,٧	٦,٧
	السودان	١٤٤١٨	٤٠٢٣٥	١٧٩,١	٥,١
	تونس	٦٣٦٨	١١٢٥٤	٧٦,٧	٢,٢
جنوب إفريقيا	أنغولا	٨٢١٢	٢٥٠٢٢	٢٠٤,٧	٥,٨
	بوتسوانا	٩٩٦	٢٢٦٢	١٢٧,١	٣,٦
	ليسوتو	١٣٠٧	٢١٣٥	٦٣,٤	١,٨
	ملاوي	٦١٦٣	١٧٢١٥	١٧٩,٣	٥,١
	موزمبيق	١١٩٣٦	٢٧٩٧٨	١٣٤,٤	٣,٨
	ناميبيا	١٠١٣	٢٤٥٩	١٤٢,٧	٤,١
	جنوب إفريقيا	٢٩٠٧٧	٥٤٤٩٠	٨٧,٤	٢,٥
	سوازيلند	٦٠٣	١٢٨٧	١١٣,٤	٣,٢
	زامبيا	٥٩٢٩	١٦٢١٢	١٧٣,٤	٥,٠
	زيمبابوي	٧٢٨٩	١٥٦٠٣	١١٤,١	٣,٣

غرب إفريقيا	بنين	٣٧١٨	١٠٨٨٠	١٩٢,٦	٥,٥
	بوركينا فاسو	٦٨٢٣	١٨١٠٦	١٦٥,٤	٤,٧
	جمهورية الرأس الأخضر	٢٨٦	٥٢١	٨٢,٢	٢,٣
	كوت ديفوار	٨٢٦٦	٢٢٧٠٢	١٧٤,٦	٥,٠
	غامبيا	٦٠٤	١٩٩١	٢٢٩,٦	٦,٦
	غانا	١٠٨٠٢	٢٧٤١٠	١٥٣,٧	٤,٤
	غينيا	٤٥٠٧	١٢٦٠٩	١٧٩,٨	٥,١
	غينيا- بيساو	٨٥٠	١٨٤٤	١١٦,٩	٣,٣
	ليبيريا	١٨٩٣	٤٥٠٣	١٣٧,٩	٣,٩
	مالي	٧٠٩٠	١٧٦٠٠	١٤٨,٢	٤,٢
	موريتانيا	١٥٣٤	٤٠٦٨	١٦٥,٢	٤,٧
	نيجيريا	٧٣٦٩٨	١٨٢٢٠٢	١٤٧,٢	٤,٢
	السنغال	٥٥٦٩	١٥١٢٩	١٧١,٧	٤,٩
	سيراليون	٣٠٨٦	٦٤٥٣	١٠٩,١	٣,١
	توجو	٢٧٢١	٧٣٠٥	١٦٨,٥	٤,٨
قارة إفريقيا		٤٧٧٢٤٦	١١٨٤٥٠٠	١٤٨,٢	٤,٢

Source: United Nations, Economic Commission for Africa, The Demographic Profile of African Countries, March 2016, P.17.

(×) من حساب الباحث؛ بناءً على المعادلة الآتية: نسبة التغير = T/100 ×:: (P2 – P1) / P1 حيث يشير P1 إلى التعداد الأول، أما P2 إلى التعداد الثاني، أما T فتشير إلى الفاصل الزمني بين التعدادَيْن (35 سنة).

تلـك التغيّرات في حجم الكتلة البشـرية بالقارة، على مدار تاريخها، أعقبها تغيّرات في النسيج الديموغرافي لها، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: أنماط واتجاهات الخصوبة:

تُعَـدُّ «الخصوبة» أحد محدّدات النمو السـكاني جنباً إلى جنب مع الوفيات والهجـرة، إلا أنّ «الخصوبة» ظاهرةٌ يمكن التنبؤ بها والتحكم فيها؛ إذ ترتبط بالعديد من العوامل الاجتماعية والاقتصادية... إلخ[(١)].

هذا، وتُقاس «الخصوبة» بعدة مقاييس حسابية، وذلك على النحو الآتي:

الاتجاهات العامّة للمواليد:

إنّ قضايـا الآجـال والوفيـات يقابلها قضايـا الولادات والخصوبة، ولكنهما في الحقيقة صنوان متصلان اتصال الحياة بالموت والموت بالحياة[(٢)]، فالمواليد تؤدي لزيادة التراكم العددي في قاعدة الهرم السـكاني، كما قد يـؤدي ارتفاع معدل وفيات الأطفال إلى زيادة الرغبة فـي التعويض بمواليد جدد؛ ومن ثم زيادة معدل النمو السكاني، وقد يؤدي انخفاض المعدل، مع بقاء معدل الخصوبة كما هو، إلى ارتفاع معدل النمو السكاني[(٣)].

ومن خـلال تتبع تطور معدل المواليد بقارة إفريقيا، مقارنةً بالمعـدل العالمي خلال الفتـرة (١٩٦٠-٢٠١٧م)، تبين أنّ القارة تتجاوز المعـدل العالمي وبفارق لم يتدن عن (١٠ في الألف)، إلا أنـه يتقلص عاماً بعد الآخر، ففـي الوقت الذي تراوح فيه معدل المواليد بالقـارة بين (٣٠-٤٠ في الألف)؛ نجـد أنه تراوح بين (٢٠-٣٠ في الألف) على المستوى العالمي، جدول (٣) وشكل (٢).

جدول (٣) تطور معدل المواليد في قارة إفريقيا خلال الفترة (١٩٦٠-٢٠١٧م)

السنة	إفريقيا (×)	العالم (×)	مقدار الفارق
١٩٦٠	٤٨	٣٦	١٢
١٩٨٥	٤٥	٢٧	١٨
٢٠٠٠	٣٨	٢٢	١٦
٢٠١٧	٣٥	٢٠	١٥

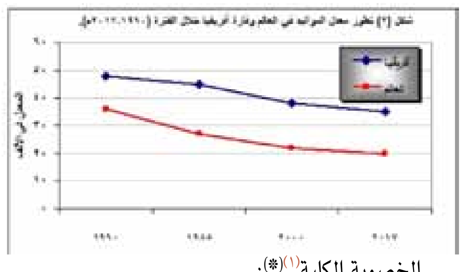
المصدر: 1- بيانات الفترة (1960-2000م): فايز العيسوي، أسس جغرافية السكان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2001م، ص191.
2- بيانات عام 2017م: نقلاً عن: Population Reference Bureau, 2017 World Population Data sheet with a special focus on youth, 2017, P.8.
(×) المعدل بالآلاف.

---

(١) Baschieri A., & Hinde A., The Proximate Determinants of Fertility and Birth Intervals in Egypt: an Application of Calendar Data, Demographic Research, Vol. 16, Article 3, 2007, P. 60.

(٢) عبدالكريم اليافي، في علم السكان، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٥٩م، ص٢٣٦.

(٣) رضا عبدالفتاح الشناوي، تحديد نموذج إحصائي مناسب لتوضيح العلاقة بين وفيات الأطفال وتعويضها بمواليد جدد بالتطبيق على محافظة الدقهلية، ماجستير غير منشورة، قسم الأساليب الكمية، كلية التجارة، جامعة المنصورة، ١٩٩٨م، ص١.



الخصوبة الكلية[1](*):

يقيس هذا المؤشر متوسط نصيب المرأة من الأطفال طيلة فترة إنجابها، ولقد بلغ المعدل العالمي للخصوبة الكلية (٢,٥ طفل/سيدة) خلال الفترة (٢٠١٠-٢٠١٥م)، تصدرت قارة إفريقيا بأعلى معدلات الخصوبة بين قارات العالم بمعدل (٤,٤)، تلاها قارة آسيا وأمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي معاً، بمعدل متساوٍ بلغ (٢,٢) لكلٍّ منهما على حدة، وتذيلت قارة أوروبا قارات العالم بمعدل (١,٦ طفل/سيدة).

ولقد انخفض هذا المعدل في قارة إفريقيا نتيجةً لانخفاض معدلات المواليد، حيث بلغ المعدل (٤,٧ طفل/سيدة) خلال الفترة (٢٠١٠-٢٠١٥م)، مقارنةً بـ(٦,٥ طفل/سيدة) خلال الفترة (١٩٨٠-١٩٨٥م)؛ بنسبة انخفاض بلغت (-٢٧,٣٪)[2](**).

ولقد شهدت معدلات الخصوبة تبايناً بين أقسامها الجغرافية خلال الفترة (٢٠١٠-٢٠١٥م)، حيث جاء وسط إفريقيا وغربها بأعلى المعدلات بالقارة (٥,٢ طفل/سيدة) لكلٍّ منهما على حدة، ثم شرق إفريقيا (٤,٧)، وأخيراً شمال القارة وجنوبها بمعدل (٢,٨-٢,٥ طفل/سيدة) بالترتيب[3].

(١) (*) يفضل أن يتم حساب المعدل على فترات خمسية، ويمكن احتساب هذا المعدل من خلال جمع معدلات الخصوبة العمرية، وضرب الناتج × ٥ (طول الفئة العمرية)، ثم قسمة الناتج على ١٠٠٠، نقلاً عن: مختار محمد مختار الحسانين، سكان مركز ميت غمر: دراسة جغرافية، ماجستير غير منشورة، جامعة المنصورة، كلية الآداب، ٢٠١١م، ص٥٢.

(٢) (**) من حساب الباحث اعتماداً على بيانات:
United Nations, Economic Commission for Africa, The Demographic Profile of African Countries, March 2016, P.17.

(٣) الأمم المتحدة، رصد السكان في العالم ٢٠١٤م، إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية، نيويورك، ٢٠١٤م، ص٧٥.

ومن خلال تقدير مقدار الفارق في معدلات الخصوبة الكلية بالقارة خلال الفترة (١٩٨٠-١٩٨٥/٢٠١٠-٢٠١٥م)؛ تبين أنّ كلّ دول القارة جاءت بنسب تغيّر سالبة فيما عدا دولة النيجر في غرب القارة، كما بجدولٍ (٤). وتشير التوقعات المستقبلية إلى أن يصل ١٦ بلداً من البلدان المرتفعة الخصوبة إلى معدل الخصوبة الكليّ البالغ (٢,٦)- أو أقل- بحلول الفترة (٢٠٣٠-٢٠٣٥م)، وتوجد جميعها في شرق إفريقيا ووسطها وغربها[4].

جدول (٤)

التباينات الجغرافية لمعدل الخصوبة الكلية بقارة إفريقيا خلال الفترة (١٩٨٠-١٩٨٥/٢٠١٠-٢٠١٥م)

النطاق الجغرافي	الدولة	معدل الخصوبة الكلية (طفل/سيدة)		مقدار الفارق
		١٩٨٠-١٩٨٥	٢٠١٠-٢٠١٥	
شرق إفريقيا	بوروندي	٧,٤٣	٦,٠٨	-١,٤
	جزر القمر	٧,٠٥	٤,٦٠	-٢,٥
	جيبوتي	٦,٢٦	٣,٣٠	-٣,٠
	إريتريا	٦,٧٠	٤,٤٠	-٢,٣
	إثيوبيا	٧,٤٢	٤,٥٩	-٢,٨
	كينيا	٧,٢٢	٤,٤٤	-٢,٨
	مدغشقر	٦,١٠	٤,٥٠	-١,٦
	رواندا	٨,٣٨	٤,٠٥	-٤,٣
	سيشل	٣,٥١	٢,٣٣	-١,٢
	الصومال	٧,٠٧	٦,٦١	-٠,٥
	جنوب السودان	٦,٧٨	٥,١٥	-١,٦
	أوغندا	٧,١٠	٥,٩١	-١,٢
	جمهورية تنزانيا المتحدة	٦,٥٥	٥,٢٤	-١,٣

(٤) United Nations, World Fertility Report 2013: Fertility at the Extremes, Department of Economic and Social Affairs, Population Division, New York, 2014.

إفريقيا الوسطى	أنغولا	٧,٣٠	٦,٢٠	١,١-
	الكاميرون	٦,٧٠	٤,٨١	١,٩-
	جمهورية إفريقيا الوسطى	٥,٩٥	٤,٤١	١,٥-
	تشاد	٧,٠٤	٦,٣١	٠,٧-
	الكونغو	٦,٠٠	٤,٩٥	١,١-
	جمهورية الكونغو الديموقراطية	٦,٧٢	٦,١٥	٠,٦-
	غينيا الاستوائية	٥,٧٩	٤,٩٧	٠,٨-
	الجابون	٥,٧٢	٤,٠٠	١,٧-
	ساو تومي وبرينسيب	٦,٢٤	٤,٦٧	١,٦-
شمال إفريقيا	الجزائر	٦,٣٢	٢,٩٣	٣,٤-
	مصر	٥,٤٩	٣,٣٨	٢,١-
	ليبيا	٦,٦٨	٢,٥٣	٤,٢-
	موريتانيا	٦,٢٨	٤,٦٩	١,٦-
	المغرب	٥,٤٠	٢,٥٦	٢,٨-
	السودان	٦,٦٣	٤,٤٦	٢,٢-
	تونس	٤,٨٢	٢,١٦	٢,٧-
جنوب إفريقيا	بوتسوانا	٥,٩٧	٢,٩٠	٣,١-
	ليسوتو	٥,٤٦	٣,٢٦	٢,٢-
	ملاوي	٧,٦٠	٥,٢٥	٢,٤-
	موريشيوس	٢,٣٠	١,٥٠	٠,٨-
	موزمبيق	٦,٤٤	٥,٤٥	١,٠-
	ناميبيا	٦,٢٠	٣,٦٠	٢,٦-
	جنوب إفريقيا	٤,٥٦	٢,٤٠	٢,٢-
	سوازيلاند	٦,٥٤	٣,٣٦	٣,٢-
	زامبيا	٧,٠٠	٥,٤٥	١,٦-
	زيمبابوي	٦,٧٤	٤,٠٢	٢,٧-
غرب إفريقيا	بنين	٧,٠١	٤,٨٩	٢,١-
	بوركينا فاسو	٧,١٧	٥,٦٥	١,٥-
	جمهورية الرأس الأخضر	٦,١٠	٢,٣٧	٣,٧-
	كوت ديفوار	٧,٣١	٥,١٠	٢,٢-
	غامبيا	٦,٢٩	٥,٧٨	٠,٥-
	غانا	٦,٣٥	٤,٢٥	٢,١-
	غينيا	٦,٥٩	٥,١٣	١,٥-
	غينيا- بيساو	٦,٧٠	٤,٩٥	١,٨-
	ليبيريا	٦,٩٦	٤,٨٣	٢,١-
	مالي	٧,١٥	٦,٣٥	٠,٨-
	النيجر	٧,٥٩	٧,٦٣	٠,٠٤
	نيجيريا	٦,٧٦	٥,٧٤	١,٠-
	السنغال	٧,٢٥	٥,١٨	٢,١-
	سيراليون	٦,٤٦	٤,٧٩	١,٧-
	توجو	٧,٠٦	٤,٦٩	٢,٤-
قارة إفريقيا		٦,٤٨	٤,٧١	١,٨-

Source: United Nations. Economic Commission for Africa. The Demographic Profile of African Countries. March 2016. .P.35. P.37

(×) نسبة التغير من حساب الباحث.

ثانياً: الوفيات:

كثيــراً ما يكــون «معدل الوفــاة والإعاقــة» المقترن بالمخاطــر البيئية التقليدية التي تهدد الصّحة؛ أعلى بكثير من «معدل الوفاة والإعاقة» المعزو مباشــرة إلى الأمراضٍ التي تتسبب فيها هذه المخاطر[1]، لذا تُعبِّر الوفيات- بصفة عامّة- عن الحالة الاقتصاديــة والاجتماعية والصّحية لأيٍّ مجتمع، كما أنها ذات دلالة مهمّة على مســتقبل الســكان أنفسهم، وفي رسم التحولات الديموغرافية والوبائية.

وإذا كان «معــدل المواليد» المرتفع في دول القارة قد

(١) أحمد سامي الدعبوسي، التنمية والسكان، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع ودار أجنادين للنشر والتوزيع، ٢٠١١م، ص٧٥.

أدى دَوْره في التأثير في نمو السكان بها؛ فإنّ العامل الآخر الذي ساهم في هذا النمو هو تحسّن الأوضاع الصّحية في كثيرٍ من مناطق القارة؛ الأمر الذي ألقى بظلاله على انخفاض «معدل الوفيات» في القارة من (٢٠ في الألف) عام ١٩٧٦م إلى (١٣ في الألف) عام ٢٠١٠م، إلا أنه بالرغم من هذا الانخفاض في «معدل الوفيات»؛ فإنه أعلى بكثيرٍ من المعدل العالمي البالغ (٨ في الألف) فقط، وبذلك يبلغ «معدل الوفيات» بالقارة (١٦٢,٥٪) من المعدل العالمي[١].

ومن خلال تتبع تطور «معدل الوفيات» بقارة إفريقيا، مقارنةً بالمعدل العالمي خلال الفترة (١٩٨٥-٢٠١٧م)، تبين أنّ القارة تتجاوز المعدل العالمي، إلا أنّ الفارق يتقلص عاماً بعد الآخر، حيث انخفض المعدل من (١٧ في الألف) عام ١٩٨٥م إلى (٩ في الألف) عام ٢٠١٧م بالقارة، مقارنةً بالوضع العالمي البالغ (١٠,٦-٨ في الألف) بنفس الترتيب؛ الأمر الذي انعكس على تقلص مقدار الفارق ليبلغ (١ في الألف) عام ٢٠١٧م؛ الأمر الذي يمكن إيعازه إلى تحسّن الأحوال الصّحية بالقارة مقارنةً بذي قبل، جدول (٥).

جدول (٥)

تطور «معدل الوفيات» في قارة إفريقيا

خلال الفترة (١٩٨٥-٢٠١٧م)

السنة	إفريقيا (×)	العالم (×)	مقدار الفارق
١٩٨٥	١٧	١٠,٦	٦,٤
٢٠٠٠	١٤	٩	٥
٢٠١٧	٩	٨	١

المصدر:

١- بيانات الفترة (١٩٨٥-٢٠٠٠): فايز العيسوي، أسس جغرافية السكان، مرجع سبق ذكره، ص١٩١.

٢- بيانات عام ٢٠١٧م: نقلاً عن:

Population Reference Bureau, 2017 World Population Data sheet with a special focus on youth, 2017, P.8.

(×) المعدل بالآلف.

وتحظى وفيات الأطفال باهتمام متجدد بين الأوساط الصّحية، حيث يشير المعدل المرتفع لوفيات الأطفال الرضع إلى الاحتياجات الصّحية غير الملبّاه والعوامل البيئية غير المواتية[٢].

ولقد أفادت دراسة (Balk D., et al.)[٣] عام ٢٠٠٣م إلى ارتفاع معدلات وفيات الأطفال الرضع في إفريقيا عن أيّ قارة أخرى، وعلى وجه الخصوص بلدان غرب إفريقيا، والتي ترتفع بمقدار (٢-٣ مرات) مقارنةً بالدول المجاورة في شمال إفريقيا وجزءٍ كبير من جنوبها، والذي أرجعته الدراسة إلى العديد من العوامل البيئية، كالكثافة المكانية العالية، والمناخ، والبيئة المرَضية، والتحضّر.

ولقد شهدت القارة انخفاضاً في معدل وفيات الرضع، حيث كان لتحسّن الأحوال الصّحية بالقارة دَوْراً مؤثراً في تدنّي معدل وفيات الأطفال الرضع من (١٧٧,٢ لكلّ ألف مولود حي) خلال الفترة (١٩٥٠-١٩٥٥م)، مقارنةً بالمعدل العالمي (١٥١,٩ لكلّ ألف مولود حي)[٤]، إلى (١١١ حالة لكلّ ١٠٠٠ مولود حي) خلال الفترة (١٩٨٠/١٩٨٥م)، ثم انخفض ليبلغ (٥٩) خلال الفترة (٢٠١٠/٢٠١٥م)، وفي عام ٢٠١٧م بلغ معدل الوفاة (٥١ حالة /ألف مولود حي)[٥] بنسبة انخفاض جاوزت الثلثين (-٧١٪) خلال الفترة (١٩٥٠/١٩٥٥-٢٠١٧م)، ولقد شهدت القارة تبايناً جغرافيّاً وفقاً لمعدلات الانخفاض، كما بجدول (٧)، حيث جاء شمال القارة بأعلى نسبة انخفاض بلغت (-٧,٦٦٪)، تلاه شرق القارة (-٧,٥٤٪)، ثم غرب القارة (-٣,٤٢٪)، وأخيراً كلٌّ من جنوب القارة ووسطها (-٧,٣٧ /-٨,٣٥٪) بالترتيب، شكل (٣).

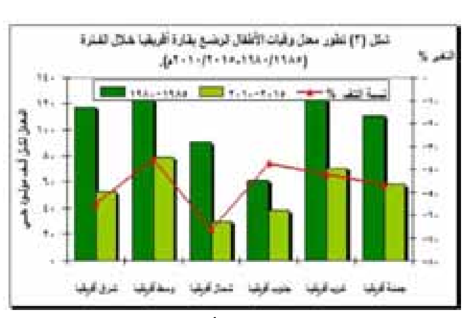
(١) موسى فتحي موسى عتلم، سكان إفريقيا إلى أين؟!، مجلة قراءات إفريقية، العدد التاسع، أغسطس ٢٠١١م، ص١٠٨.

(٢) Sharifzadeh G.R., Namakin K., Mehrjoofard H., an Epidemiological Study on Infant Mortality and Factors Affecting it in Rural Areas of Birjand, Iran, Iran J. Pediatr , Vol. 18 , No. 4, Dec 2008, P. 336.

(٣) Balk D., et al., Spatial Analysis of Childhood Mortality in West Africa, DHS Geographic Studies 1, December 2003.

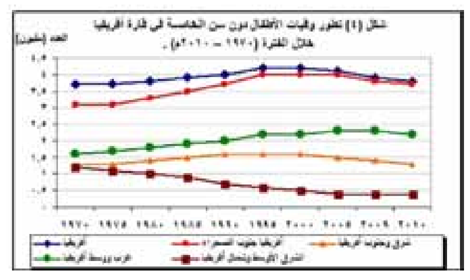
(٤) United Nations, World Mortality Report 2009, Department of Economic and Social Affairs Population Division, New York, 2011, P.9.

(٥) Population Reference Bureau, 2017 World Population Data sheet with a special focus on youth, 2017, P.8.



وفيمـــا يتعلق بوفيـــات الأطفال دون الخامســـة؛ بلغ معـــدل الوفـــاة بالقـــارة (١٧٠,٢ لكلّ ألـــف مولود حي) خـــلال الفترة (١٩٥٠-١٩٥٥م) مقارنـــةً بالمعدل العالمي (٩٠,٤)، وانخفض بالقـــارة إلى (١٣٥,٩ لكلّ ألف مولود حي) مقارنةً بالمتوســـط العالمـــي (٧١,١) خلال الفترة (٢٠٠٥/٢٠١٠م)[١].

ولقد أشـــار تقرير اليونيســـيف عام ٢٠١٢م إلى تدنّي معدل وفيـــات الأطفال دون الخامســـة عالميًّا، إذ انخفض المعـــدل من (١٣٩) إلى (٥٧ حالة لكلّ ألف مولود حي) عام ٢٠١٠م، ولقـــد تصدرت قارة إفريقيا، حيـــث تدنّي المعدل ليبلـــغ (١١١) عام ٢٠١٠م؛ مقارنةً بـــ(٢٢٩ لكلّ ألف مولود حي) عام ١٩٧٠م.



ويُعَدُّ «معدل وفيات الأمهـــات» عنصراً مهمّاً في تقييم عمليـــة الانتقـــال أو التحـــول الصحـــي- The Health Transition، ويُعرف «معدل وفيـــات الأمهات» بـ«حالات الوفاة للمـــرأة في أثناء الحمل، وخلال (٤٢ يوماً) من انتهاء الحمل»[٢]؛ لذا يُعَدُّ من أهمّ المؤشـــرات التي تعكس ارتفاع مستوى الرعاية الصّحية في أية دولة.

ولقـــد بلغ إجمالي حـــالات وفيات الأمهـــات في قارة إفريقيا عام ١٩٩٠م (٢٠٨٠٠٠ حالة)، بمعدل (٧٨٠ ســـيدة لكلّ ١٠٠ ألف مولود حـــي)، انخفض قليلاً ليبلغ (٢٠٧٠٠٠ حالة)، بمعدل (٥٩٠ ســـيدة لكلّ ١٠٠ ألـــف مولود حي)[٣]، ولقد كشـــف التوزيع الجغرافي لمعـــدل وفيات الأمهات في قارة إفريقيا بين عامي (١٩٩٠-٢٠١٥م) لنماذج من البلدان الإفريقية، عن تدنّي معدل الوفاة بين العامَيْن في كلّ البلدان فيما عدا دولة زيمبابوي، في المقابل تصدرت دولتَا إريتريا وسيراليون أعلى مقدار تناقص بلغ (-١٠٨٩ /-١٢٧٠ حالة بالترتيب.

ثالثاً: الهجرة:

تُعَـــدُّ «الهجرة» أحـــد ضوابط النمو الســـكاني في أيّ مجتمع، مشـــتركةً في ذلك مع الخصوبـــة والوفيات، إلا أنّ الهجرة ظاهرةٌ تتأثر بشكل مباشر بعوامل داخلية وخارجية، ومـــن أهمّ هذه العوامـــل متطلبات ســـوق العمل والظروف السياســـية، وفيما يلي سنسرد بإيجاز طبيعة الهجرة بالقارة الإفريقية في النقاط الآتية:

حركة الهجرة الداخلية بالقارة:

غالباً ما يُنظر إلى «الهجرة الإفريقية» على أنها موجهةٌ أساساً نحو أوروبا مدفوعة بالفقر والعنف؛ إلا أنّ الهجرة في إفريقيا- قبل كلّ شـــيء- هجرةٌ داخل أرجاء القارة نفسها، ففـــي عام ٢٠٠٠م كان هناك (٧٥٪) مـــن جميع المهاجرين الأفارقة يعيشون في بلدٍ إفريقيٍّ آخر، بينما (١٦٪) منهم في أوروبا، و(٥٪) في أمريكا، و(٤٪) في أوقيانوســـيا، و(٠,٣٪) في آسيا.

وتكشف خرائط الهجرة داخل القارة الإفريقية أنّ معظم تيارات الهجرة تتجه من البلدان الفقيرة

(١) United Nations, World Mortality Report 2009, Department of Economic and Social Affairs Population Division, New York, 2011, P.11.

(٢) Saleh W.F. & Ragab W.S. & Aboulgheit S.S., Audit of Maternal Mortality Ratio and Causes of Maternal Deaths in The Largest Maternity Hospital in Cairo, Egypt (Kasr Al Aini) in 2008 and 2009; Lessons Learned, African Journal of Reproductive Health 17(3), September 2013, P.105.

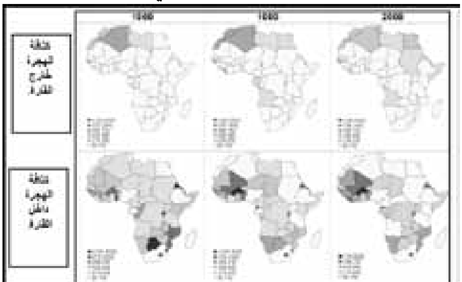
(٣) W. H. O., et al., Trends in Maternal Mortality: 1990 to 2008 Estimates developed by WHO, UNICEF, UNFPA and The World Bank, 2010, P. 20.

وغير الساحلية، وذلك لمسافات قصيرة، إلى البلدان المجاورة، هذا وتشتد تياراتُ الهجرة من بلدان المغرب العربي إلى البلدان غير الإفريقية؛ نظراً لقربها الجغرافي من أوروبا. وعلى النقيض من ذلك؛ فإنّ كثافة الهجرة من بلدان جنوب الصحراء إلى البلدان غير الإفريقية ضعيفةٌ جدّاً، غير أنّ بعض البلدان قد طوّرت في العقود الأخيرة روابط أقوى خارج القارة (مثل: أنغولا والجابون وليبيريا والسنغال والسودان وإريتريا والصومال)[١].

وعادةً ما تكون الهجرة بين الجنوب والشمال مدفوعةً بالفوارق في الدخل والقرب الجغرافي والروابط التاريخية؛ مثل اللغة المشتركة والعلاقات الاستعمارية، غير أنه في حالة الهجرة بين بلدان الجنوب؛ فإنّ الفروق في الدخل متواضعة نسبيّاً، ويبدو أنّ دَوْر الدخل أكثر تعقيداً؛ فعلى سبيل المثال: تستقطب جنوب إفريقيا السكان من ليسوتو وموزمبيق وناميبيا وزيمبابوي[٢].

شكل (٥)

تطور كثافة الهجرة بالبلدان الإفريقية (المهاجرون لكلّ ١٠٠٠ شخص ولدوا في كلّ بلد)



Source: Flahaux M., De Haas H.,

رابعاً: مستويات ودلائل التعمّر السكاني:

تُعَدُّ «شيخوخة السكان» The aging of Population ظاهرة تنموية، تنجم عن التفاعل بين اتجاهات الخصوبة والوفيات[٣].

ولقد خلصت شعبة السكان بالأمم المتحدة إلى أنّ النسبة العالمية للأشخاص الذين تتجاوز أعمارهم ٦٠ عاماً بلغت (٨٪) في عام ١٩٥٠م، ارتفعت إلى (١١٪) عام ٢٠٠٩م، ومن المتوقع أن تصل إلى (٢٢٪) بحلول عام ٢٠٥٠م، حيث يتزايد السكان المسنّون بمعدل (٢,٦٪) سنويّاً، أي بوتيرة أسرع كثيراً من وتيرة تزايد عدد السكان ككل[٤].

وتشير تقديرات الأمم المتحدة، كما بجدول (١١)، إلى ارتفاع حجم مجتمع كبار السّن (٦٠ سنة فأكثر) في العالم بصورةٍ كبيرة، حيث بلغت نسبة الزيادة في العالم (٤٨,٤٪) بين عامي (٢٠٠٠ و ٢٠١٥م)، سترتفع إلى (١٣٢٪) بين عامي (٢٠١٥-٢٠٥٠م). وفي قارة إفريقيا بلغت نسبة الزيادة (٥١,٩-٢٤٢٪) بنفس ترتيب الفترات، وبرغم تلك الزيادة فإنّ حجم مجتمع كبار السّن بالقارة مازال منخفضاً، حيث شكّلت نسبة كبار السّن في القارة عام ٢٠١٥م لإجمالي العالم (٧,١٪ فقط)؛ الأمر الذي سينعكس بطبيعة الحال على مستويات أمد الحياة بالقارة، كما بجدول (٦)، فلا تزال البلدان الأشدّ فقراً -بوجه خاصٍّ في آسيا وإفريقيا جنوب الصحراء- في المراحل الأولى من التحول الديموغرافي؛ بمجموعة سكانية كبيرة نسبيّاً من الشباب[٥].

---

(١) Flahaux M, De Haas H., African Migration: is The Continent Really on The move?, March 29, 2016, Available at: http://www.niussp.org.

(٢) United Nations, International Migration Policies Government Views and Priorities, Department Of Economic And Social Affairs Population Division, New York, 2013, P.P.23-24.

(٣) El-Badry M.A., Aging in Developing Countries: One More Population Problem?, Cairo Demographic Center, Working Paper No. 13, Cairo, 1986, P. 1.

(٤) صندوق الأمم المتحدة للسكان، حالة سكان العالم ٢٠١١م: البشر والإمكانيات في عالم تعداده ٧ بلايين نسمة، شعبة الإعلام والعلاقات الخارجية، ٢٠١١م، ص٣٤.

(٥) مكتب العمل الدولي، العمالة والحماية الاجتماعية في السياق الديموغرافي الجديد، التقرير الرابع، مؤتمر العمل

جدول (٦)

تطور حجم مجتمع كبار السّن (٦٠ سنة فأكثر) في العالم خلال الفترة (٢٠٠٠-٢٠٥٠م)

النطاق الجغرافي	العدد (بالمليون)				نسبة التغير ٪	
	٢٠٠٠	٢٠١٥	٢٠٣٠	٢٠٥٠	٢٠٠٠-٢٠١٥	٢٠١٥-٢٠٥٠
العالم	٦٠٧,١	٩٠٠,٩	١٤٠٢,٤	٢٠٩٢,٠	٤٨,٤	١٣٢
إفريقيا	٤٢,٤	٦٤,٤	١٠٥,٤	٢٢٠,٣	٥١,٩	٢٤٢
آسيا	٣١٩,٥	٥٠٨,٠	٨٤٤,٥	١٢٩٣,٧	٥٩,٠	١٥٥
أوروبا	١٤٧,٣	١٧٦,٥	٢١٧,٢	٢٤٢,٠	١٩,٨	٣٧
أمريكا اللاتينية والكاريبي	٤٢,٧	٧٠,٩	١٢١,٠	٢٠٠,٠	٦٦,١	١٨٢
أوقيانوسيا	٤,١	٦,٥	٩,٦	١٣,٢	٥٦,٢	١٠٣
أمريكا الشمالية	٥١,٠	٧٤,٦	١٠٤,٨	١٢٢,٧	٤٦,٤	٦٤

Source: United Nations. World Population Ageing 2015. Department of Economic and Social Affairs. Population Division. New York. 2015. P.10.

وبعقد مقارنةٍ بين مستويات «أمد الحياة» بالقارة والمتوسط العالمي؛ نجد أنّ كليهما قد شهدَا تزايداً، حيث بلغ مستوى أمد الحياة (٣٨,٧-٤٦,٦ سنة) خلال الفترة (١٩٥٠/١٩٥٥م)، وارتفع إلى (٥٤,١-٦٧,٦ سنة) خلال الفترة (٢٠٠٥/٢٠١٠م) بنفس الترتيب، وبرغم ارتفاع مستويات حجم كبار السّن ومستويات أمد الحياة بالقارة؛ جراء التحسّن في مستويات الرعاية الصّحية، وما ترتب عليه من انخفاض معدل الوفاة- كما سبق الحديث-، فإنّ القارة لا تزال بعيدة عن المتوسط العالمي، وتحتاج إلى مزيدٍ من تحسين برامج الصّحة بشقّيها العلاجي والوقائي.

ولقد تباينت دول القارة فيما يتعلق بمستويات أمد الحياة، حيث بلغ المتوسط عام

الدولي، الدورة ١٠٢، جنيف، ٢٠١٣م، ص٧.

٢٠١٥م (٥٩,٥ سنة)؛ مقارنةً بـ(٥٠,٥ سنة) خلال الفترة (١٩٨٠-١٩٨٥م)، وجاء شمال إفريقيا بأعلى مستويات أمد الحياة بالقارة (٧٠,٥ سنة)، تلاه شرق القارة (٦٠,٥ سنة)، ثم كلٌّ من جنوب ووسط وغرب القارة بمتوسط (٥٧,١- ٥٥,٦-٥٥,٠ سنة) بالترتيب؛ خلال الفترة (٢٠١٠-٢٠١٥م).

جدول (٧)

التباينات الجغرافية لمتوسط العمر المتوقع عند الولادة في إفريقيا خلال الفترة (١٩٨٠/١٩٨٥- ٢٠١٠/٢٠١٥م)

البلدان	١٩٨٠-١٩٨٥م			٢٠١٠-٢٠١٥م		
	ذكر	أنثى	إجمالي	ذكر	أنثى	إجمالي
شرق إفريقيا	٤٦,٦	٤٩,٧	٤٨,١	٥٨,٩	٦٢,٢	٦٠,٥
وسط إفريقيا	٤٥,٦	٤٨,٦	٤٧,١	٥٤,٣	٥٧,٠	٥٥,٦
شمال إفريقيا	٥٧,٩	٦١,٧	٥٩,٨	٦٨,٦	٧٢,٤	٧٠,٥
جنوب إفريقيا	٥٥,١	٦١,٧	٥٨,٣	٥٥,٠	٥٩,٠	٥٧,١
غرب إفريقيا	٤٥,٨	٤٨,٠	٤٦,٩	٥٤,٤	٥٥,٦	٥٥,٠
جملة إفريقيا	٤٨,٩	٥٢,١	٥٠,٥	٥٨,٢	٦٠,٩	٥٩,٥

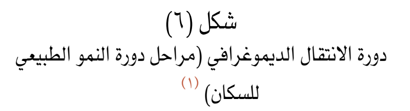
Source: United Nations. Economic Commission for Africa. The Demographic Profile of African Countries. March 2016. P.P. 48-47.

وإجمالاً لما سبق؛ يمكن الوقوف على مرحلة التحول الديموغرافي التي تمرّ بها القارة، كما بشكل (٦)، وذلك على النحو الآتي[1]:

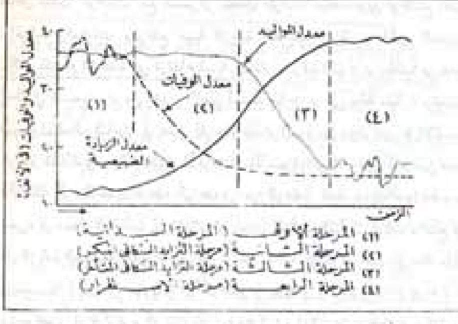
(١) لمزيد من التفاصيل راجع:

- فتحي محمد مصيلحي، المشكلة السكانية ومستقبل مصر، المعمور المصري في مطلع القرن (٢١)، دار الماجد، القاهرة، ٢٠١٠م، ص (١٥٨-١٥٩).

-فايز محمد العيسوي، مرجع سبق ذكره، ص (١٧٠-١٧٤) (بتصرف).



شكل (٦)
دورة الانتقال الديموغرافي (مراحل دورة النمو الطبيعي للسكان) [١]



(١) مرحلة الثبات المرتفع: تتميز بارتفاع معدل المواليد والوفيات الذي يتعدى (٣٠ في الألف)، بطء النمو السكاني أو ثباته، ارتفاع معدل وفيات الأطفال الرضع ارتفاعاً كبيراً يزيد على (٢٥٠ في الألف). وقد مرّت شعوب العالم بهذه المرحلة، ولقد مرّت معظم المجتمعات التقليدية بهذه المرحلة قبل عام ١٦٥٠م، ومن الصعب أن نجد دولاً ما تزال تقع في هذه المرحلة، بل يمكن أن توجد لدى بعض المجتمعات والقبائل شبه المنعزلة التي تقطن بمناطق نائية، ولم تتصل بالحضارة الحديثة، ولاسيما المناطق المدارية في إفريقيا وجنوب شرقي آسيا.

(٢) مرحلة النمو المبكر: تتميز بالنمو السكاني المبكر والسريع نتيجة انخفاض معدل الوفيات بسرعة مع استمرار ارتفاع معدل المواليد، وبالتالي اتساع الهوة بين المواليد والوفيات، وبالتالي ارتفاع نسبة الزيادة الطبيعية. وتوصف هذه المرحلة بالثورة الديموغرافية- Demographical Revolution أو الانفجار السكاني Demographic Explosion. ويعيش في هذه المرحلة نصف شعوب العالم على الأقل، والتي تتميز باتساع قاعدة الهرم السكاني؛ نتيجة ارتفاع نسبة الصغار، وخير مثالٍ للدول التي في هذه المرحلة: كلٌّ من تشاد وليبيريا (المواليد ٥٠ في الألف، ومعدل الوفيات ١٧ في الألف، ومعدل الزيادة الطبيعية ٣٣ في الألف)، ويُعرف سكان دول هذه المرحلة بأنهم: «سكان في مرحلة الشباب»، حيث إنّ نصف سكان الدولة من صغار السّن (يقلّ عمرهم عن عشرين عاماً).

(٣) مرحلة النمو المتأخر: تتميز بوصول الوفيات إلى أدنى حدٍّ ممكن، وبأنّ المواليد في انخفاض، وبالتالي فإنّ معدل الزيادة الطبيعية في تزايدٍ تدريجي. وتمثّل دول «المرحلة الثالثة» الدول التي قطعت شوطاً جيداً في التنمية الاقتصادية والبشرية، ومن أمثلة الدول في هذه المرحلة: الدول ذات معدل نمو السكان المتوسط (ما بين ١ و ٢٪)، ومن أمثلتها: مصر (المواليد ٢٦ في الألف، والوفيات ٦ في الألف)، والمغرب (المواليد ٢٧ في الألف، والوفيات ٩ في الألف).

(٤) مرحلة الثبات المنخفض: تتميز بانخفاض معدل المواليد والوفيات إلى أدنى حدٍّ لهما، وبالتالي انخفاض معدل النمو الطبيعي واستقرار السكان، وتعيش بهذه المرحلة معظم دول أوروبا، ولا تتمثل أي دولة بالقارة في تلك المرحلة.

(٥) مرحلة النمو المتلاشي: وهي المرحلة التي تنخفض فيها الخصوبة تحت معدل الوفيات، وبالتالي تناقص السكان، ولا تتمثل أي دولة بالقارة في تلك المرحلة.

خامساً: سياسات تحقيق التنمية الشاملة أثناء مرحلة التحول الديموغرافي:

كشف تتبع الأحوال الديموغرافية بقارة إفريقيا عن أنّ دول القارة لا تزال تمر بالمرحلتَيْن الأولى والثانية من التحول الديموغرافي، وأنّ عدداً قليلاً- مما تشهد مجتمعاتهم تحسّن في الأحوال الصّحية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية- في المرحلة الثالثة.

تلك التحولات تشير إلى أنّ المجتمع الإفريقي هو «مجتمع شاب»، حيث تتركز أكبر فئة عمرية بها في «سنّ العمل»، كما بجدول (٨)، ويُطلق على تلك الفئة عدة مسميات منها: «فئة العائد الديموغرافي» أو «النافذة الديموغرافية»، وهي القوة الاقتصادية التي يمكن أن تنشأ عن حدوث تحولات في الهيكل العمري للسكان، وبخاصّة حينما تكون حصّة السكان في «سنّ العمل» (من ١٥ إلى ٦٤ سنة) أكبر من حصّة السكان ممن ليسوا في «سنّ العمل»، أي ممن تبلغ أعمارهم ١٤ سنةً فأقل أو ٦٥ سنةً فأكثر.

(١) نقلاً عن: أبو عيانة، جغرافية السكان: أسس وتطبيقات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص ٢٦٩.

جدول (٨) التوزيع للحجم السكاني والسكان في سنّ العمل بقارة إفريقيا خلال الفترة (٢٠٠٠-٢٠٥٠م)

النطاق الجغرافي	العدد (بالمليون)				متوسط النمو السنوي في ٪		
	٢٠٠٠	٢٠١٠	٢٠٣٠	٢٠٥٠	٢٠٠٢-٢٠١٠	٢٠١٦-٢٠٣٠	٢٠٣١-٢٠٥٠
شرق إفريقيا							
السكان	٢٥٩	٣٩٤	٥٧٩	٨٧٨	٢,٨	٢,٦	٢,١
السكان في سنّ العمل	١٣٣	٢١١	٣٣٦	٥٤٧	٣,١	٣,١	٢,٥
وسط إفريقيا							
السكان	٩٦	١٥٢	٢٣٢	٣٦٩	٣,١	٢,٩	٢,٤
السكان في سنّ العمل	٤٩	٧٩	١٢٨	٢٢٤	٣,٢	٣,٣	٢,٨
شمال إفريقيا							
السكان	١٧٢	٢٢٤	٢٨٢	٣٥٤	١,٨	١,٦	١,١
السكان في سنّ العمل	١٠٢	١٤٠	١٨١	٢٢٦	٢,٢	١,٧	١,١
جنوب إفريقيا							
السكان	٥١	٦٣	٧٠	٧٨	١,٣	٠,٨	٠,٥
السكان في سنّ العمل	٣١	٤١	٤٧	٥٣	١,٨	٠,٩	٠,٦
غرب إفريقيا							
السكان	٢٣٥	٣٥٣	٥١٦	٧٩٨	٢,٧	٢,٦	٢,٢
السكان في سنّ العمل	١٢٥	١٨٨	٢٩٢	٤٨٤	٢,٨	٣,٠	٢,٦

Source: AfDB & OECD and UNDP. African Economic Outlook 2016: Special Theme: Sustainable Cities and Structural Transformation. 2016. P 45.

ومن هنا؛ يمكن الاســـتفادة من تلك المرحلة الديموغرافية التي تمرّ بها القارة؛ أسوةً بنماذج عالمية حققت مؤشرات تنموية جراء تلك المرحلة، فعلى ســـبيل المثال: تجربة دول شرق آسيا ودور التحـــول الديموغرافي فيها، فحتى الســـتينيات كانت دول شرق آسيا من الدول الفقيرة (باستثناء اليابان)، ولم يكن هناك ما يشير إلى إمكانية تحقيق طفرات تنموية، ولكن من الستينيات وحتى الســـبعينيات حققت هذه الدول ضعف معدلات نمو بقية الدول الآســـيوية، وثلاثة أضعاف دول أمريكا اللاتينية وجنوب آسيا، وخمســـة أضعاف إفريقيا جنوب الصحراء، ولقد صاحب هذا النمو تراجعٌ في مؤشرات الفقر وتحسّن المؤشرات البشرية والاجتماعيـــة. ولقد أكدت دراســـات كلٍ من بلوم ووبليامســـون والبنـــك الدولي وبلـــوم وكاننغ ومالاني ومايســـون: أنّ «النافذة الديموغرافية» أســـهمت وحدها فيما يراوح بين (٢٥-٤٠٪) من المعجزة الآسيوية، وذلك من خلال المحورَيْن الآتيين:

١- سياسات الإســـراع بعملية التحول الديموغرافي: تعتبر ســـرعة التحول الديموغرافي عنصراً مؤثراً، حيث ساهمت دول شرق آسيا في الإسراع بمعدلات النمو الاقتصادي، وكذلك أكدت التجربة أنّ الإسراع بعملية التحول الديموغرافي أمرٌ ممكن؛ إذا ما تأهلت الدول والمجتمعات لذلك.

ويتمثّل الـــدرس الرئيس في هذا الصـــدد بضرورة صوغ السياســـات الســـكانية ضمن إطار عام، يهدف بالأســـاس إلى تحسين مؤشرات التنمية البشـــريةً، من أجل توليد آثار التغذية العكسية، وفي هذا الصدد تتمثل أهمّ السياسات بما يأتي:

أ- استعادة التركيز على تفعيل برامج تنظيم الأسرة.

ب- تفعيل برامج التوعية بأهمية تنظيم الأســـرة والصّحة الإنجابية؛ من خلال الإعلانات والحملات الميدانية، واســـتعادة كفاءة المؤسسات القائمة على هذه العملية.

ج- تحسين مؤشرات تعليم المرأة، وزيادة معدلات التحاقها بالتعليم الأساسي.

٢- سياســـات الاســـتفادة من عملية التحول الديموغرافي لتحقيق النموّ الشامل:

يتوقف حجم التأثير الإيجابي للتغيّرات التي تصاحب عملية التحول الديموغرافي -بشكل رئيس- على السياسات الاقتصادية المواكبة لها، وحتى يكون النمو شاملًا فيجب أن يستوعب التحولات الديموغرافية ضمن معايير الشمول، فالنافذة الديموغرافية التي ســـتخلق فرص عمل كبيرة؛ يجب أن تُقابَل بسياسات تمتصّ هذه القوة العاملة الضخمة ضمن الاقتصاد القومي، وتوفّر لها التعليم والرعاية الصّحية، وبطبيعة الحال؛ فإنّ تحقيق ذلك ســـيؤدي إلى زيادة الدخول وتحسّن الأحوال المعيشية(١) ■

(١) ماجد عثمان، هبة نصار وسارة محمد الدمرداش الخشن، دور السياسات في الإسراع بالتحول الديموغرافي: دراسة حالة شرق آسيا والدروس المستفادة لمصر، بحوث اقتصادية عربية، العدد (٦٥)، ٢٠١٤م، ص (١٣٨-١٥٦) (بتصرف).